أكدوا أن انتصار حزب الله حقيقة.. وادانوا التواطؤ السعودي ـ المصري.. ورأوا ان نجاح المقاومة أجبر أمريكا على غلق ملف الإصلاح

سياسيون ومثقفون يدعون إلى إحياء ذاكرة المقاومة العربية وحماية الإعلام العربي من التناول سيىء السمعة لها

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من جمال المجايدة:

دعا جمع من المثقفين والسياسيين والعسكريين إلى دراسة متأنية ومستفيضة للفشل العسكري الاسرائيلي في الحرب الأخيرة مع حزب الله، مؤكدين أن السيد حسن نصر الله نبه بانتصاره الذي لا جدال عليه إلى حقيقة مؤداها ضياع الرغبة في الموت من أجل حلم الوطن المصطنع لدى المقاتل الاسرائيلي.

وانتهت مناقشات دارت على مدار ثلاثة أيام بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في القاهرة حول تداعيات الحرب الاسرائيلية اللبنانية على مستقبل الشرق الأوسط إلى الاعتراف بإمكانية انتهاء دولة العدو الصهيوني خلال عقود قليلة بشرط التفاعل العربي مع المقاومة وفهم مبررات إستمرار الدعم الغربي والأمريكي لهذا الكيان الوظيفي.

وقال الكاتب والمفكر السياسي السيد يس ان الحرب نبهت إلى ضرورة إحياء ذاكرة المقاومة العربية ودراسة ظاهرة ما بعد الصهيونية داخل المجتمع الاسرائيلي، والتي أثبتت وجودها الروح المعنوية الضائعة لدى الجنود الاسرائيليين في ظل سواد مناخ ما بعد الحداثة وضياع الرغبة في الموت من أجل اسرائيل.

الدكتور محمد السيد سعيد نائب مدير مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية لفت إلى حاجة الأمة العربية للاصلاح نتيجة شعورها بعلة مستديمة خاصة في مصر التي درج البعض على تسميتها بالرجل العربي المريض، واتضاح مؤشرات ذلك على الاقتصاد العربي وبالذات خلال السبعينيات نتيجة حالة اللاقرار ومضاعفة الاهدار مقابل موارد محدودة وتراجع واضح للمكانة العربية عالميا وانتهاكات مستمرة بحق المواطن العربي وتحقيره.

وأضاف سعيد: المعضلة الأساسية هي مشكلة البحث حول الاصلاح في ظل بنية حكم تحدث قواها باستمرار لتفسد نسيج المجتمع السياسي والأخلاقي وتضعف قوي الاصلاح.

وطرح الدكتور عبد المنعم المشاط رئيس مركز الدراسات السياسة بالكلية فكرة نظرية الأمن القومي العربي من زاوية شاملة تتناول الجوانب السياسية والاقتصادية بجانب العسكرية في إطار النظر إلى نظام عربي إقليمي مواجه لتحالفات النظام العالمي وأبرز أركانه التحالف الامريكي ـ الاسرائيلي، والذي استفاد كثيرا من قرار الجامعة العربية في قمة القاهرة أغسطس 1990 بوضع حد لقرارات سياسة الدفاع المشترك بصدور قرار بالأغلبية ضد الدولة المعتدية خروجا على ميثاق الجامعة المقر للاجماع بعد غزو العراق للكويت، في حين لم يتم تفعيل الاتفاقية في أي من حروب العرب ضد اسرائيل وخاصة الحرب الأخيرة رغم أن نواة الاتفاقية كانت سبع دول فقط عام 1950.

فيما دعا الدكتور حسن نافعة أستاذ العلوم السياسية إلى خطورة التصور العربي خاصة الرسمي بإنتهاء الحرب بعد القرار 1701 الذي أعطى سياسيا لاسرائيل أكثر مما جنته عسكريا، لافتا إلى أن الأزمة في لبنان ليست بسبب المحكمة الدولية، وإنما في منح القرار الحكومة اللبنانية حق طلب المساعدة من القوات الدولية في نزع سلاح حزب الله والوقوف بوجه سورية، لتصبح الحكومة بالتالي أداة لتحقيق مصالح إسرائيل وأمريكا، رغم تأييدها المسبق للمقاومة في خطف جنود الصهاينة ومبادلتهم بأسري لبنانيين.

وكشف الباحث السياسي أمجد جبريل عن هشاشة معسكر السلام في دولة العدو الصهيوني، لافتا إلى انتماء أغلب رموزه إلى فئة مجرمي الحرب وتمسك أنظمة عربية عديدة بحيلة تعظيم دوره ضمانا لصورة أفضل لها لدى شعوبها في ظل تخاذلها عن دعم المقاومة في فلسطين ولبنان، وتوقع جبريل أن تقدم إسرائيل تنازلات لحماس إذا إستمر تماسكها خاصة بعد فتحها القاهرة وتهديد خالد مشعل بانتفاضة ثالثة.

واستنكر الدكتور حسن أبو طالب غياب أية جهود عربية خالصة لحل قضايا المنطقة أو دعم حركات المقاومة بها في ظل صمت سلاح الجيوش رغم تعطيل تلك الحركات لاستراتيجيات أمريكا بالمنطقة، خاصة في ما يتعلق بالعراق والسودان، في حين يعلو الحوار داخل النخبة التركية لتخصيص موارد لتشييك العلاقات وتوسيعها مع بعض الأطراف العربية بعد رصد تحركات إيران في الداخل العراقي لملء الفراغ والتخلص من كل من ارتبط بنظام صدام حسين، في حين اعتبرت أمريكا وإسرائيل ـ لبنان نقطة انطلاق لتنفيذ مشروع الادارة الأمريكية السياسي بالمنطقة بمحاولة تفسير الصراع الداخلي به على أنه طائفي وليس سياسيا.

وفي تحليله لخطط الحرب الإسرائيلية أكد اللواء زكريا حسين المدير الأسبق لأكاديمية ناصر العسكرية أن القرار الإسرائيلي بشن الحرب على لبنان جاء للرد على شكوك الرأي العام داخل إسرائيل في المنظومة الأمنية والعسكرية للدولة، فيما مثل انتصار حزب الله صدمة قوية أصابت غرور القوة وأجهزة المعلومات والمخابرات بشكل انعكس على اتخاذ القرار السياسي والعسكري، لتبدو عمليات الجيش العسكرية على المدنيين وكأنها هروبا من جنود المقاومة الذين افتقدت ادارة الحرب الإسرائيلية المعرفة بتمركزهم ومسرح مواجهتهم، ما جعل زمن العمليات يتجاوز الشهر دون تحقيق أي انتصار.

وسخر العميد صفوت الزيات المحلل العسكري لقناة أبوظبي من الحديث عن قدرات حزب الله دون الاعتراف بامتلاكه استراتيجية عسكرية أكدت على أن قرار الحرب لم يعد الآن حكرا على الأنظمة العربية، مؤكدا أن نصر الله أدار أزمة ولا ذنب له في الحرب المفروضة على حزب الذي ظل منضبطا تكتيكيا على مساحة حدودية تتجاوز 375 كم، وبقي ثابتا على معدلات إطلاق الصواريخ بإتجاه العدو لآخر لحظة، وكانت مهمته دوما خارج الحدود وليس داخلها.

وأطلق الدكتور سيف الدين عبد الفتاح على بطولة حزب الله خلال 33 يوما لقب «مسبحة المقاومة»، التي أثبتت أن للقوة سقفا وللضعف أيضا وكل منهما يمكنه التحول إلى العكس في لحظة واحدة، ليصبح سيد الكلام هو «كلام السيد»، نافيا صفات الاعتدال والنزاهة والبراءة عن المواقف المهينة للأنظمة العربية المؤيدة لأمريكا والتي سعت لإطالة أمد الحرب، متمنية انتهاءها بمحو حزب الله وكابوس نصر الله الذي علت صورته في الشارع العربي والجامع الأزهر.

وانتقد المشاركون موقف المجتمع المدني العربي والمصري من الحرب على لبنان، وأكدت الدكتورة ناهد عز الدين أن المنظمات الحقوقية المصرية اكتفى أغلبها باصدار بيانات ادانة ضد طرفي الحرب وكأنهما متكافئان، مرجعة أسباب تخاذلها إلى ارتباط أغلبها بمصادر تمويل غربية وأمريكية، كما لفتت إلى وجود فجوة بين الموقف الشعبي والموقف الحقوقي، وأيضا الموقف الحقوقي والموقف الرسمي من الحرب التي لم تستغلها تلك المنظمات لوضع رؤية مشتركة لها.

وقالت الدكتورة إيمان حسن ان الحرب كشفت البيئة القانونية السيئة التي تعمل خلالها المنظمات العربية ذات الفعالية المحدودة، وأبرزت حقيقة غياب شبكات مدنية تواجه آثار الحرب القانونية والانسانية، معتبرة أنه لا يمكن الفصل بين مواقف هذه المنظمات ومواقف دولها الرافضة لأية تحركات تحرج حكوماتها التي سعت مؤسساتها الدينية لتبرير مواقفها، وتطرفت بعضها ـ كالسعودية مثلا ـ بتحريم نصرة حزب الله الشيعي عبر فتوي مشبوهة.

واتفقت الدكتورة آمال كمال مع حقيقة تركيز الغرب والحكومات العربية الموالية له على محاولة تفسير نتائج الحرب لصالح اسرائيل لإلحاق هزيمة سياسية بمنتصر عسكري، بمساعدة ودعم كتاب وساسة يروجون لفكر هدام يفسر المقاومة على أنها انتحار ويصف الخضوع بأنه سلام.

وقال الكاتب الصحافي سعد هجرس ان الاعلام العربي والمصري خاصة لم يفرق في صياغته ـ خاصة الصحافية ـ بين الخبر والرأي، وتلكأ الاعلام المرئي كثيرا في نقل الحقيقة حتى في النقل عن آخرين، واستمر انتظاره طويلا كالعادة للضوء الأخضر من الحكومة للكلام عن الحرب، وهي سياسة ساعد على سوادها القوانين المقيدة لحرية العمل الاعلامي والبحثي والصحافي في مصر والعالم العربي مع القيود المتزايدة على حق الأفراد والجماعات في اصدار الصحف وإطلاق وتملك القنوات الفضائية، وفي حين تدعو الحاجة إلى إعلام عربي قوي داعم للمقاومة كقناة «المنار» والتي طوردت من جانب إسرائيل خلال الحرب، لم ينتبه كثيرون لغلق مركز زايد وحصار المراكز البحثية العربية وحرية عملها.

واتفق الدكتور معن بشور رئيس المؤتمر القومي الشعبي بلبنان مع القول ان الوطن العربي لا يمثل حالة سياسية واحدة بل عدة متباينات سياسية متفاوتة التطور في ظل طغيان اعلامي هائل يحول الأسود إلى أبيض والعكس، حتى أن ما يجري بالعراق من مقاومة لا يسمع عنه إلا داخل المجتمع الأمريكي المحترق على جنوده ولا يجد صداه إلا في انتخابات الكونغرس ونتائجها، لافتا إلى أن المعارضة في لبنان لا يمثلها حزب الله وحده كما يحاول البعض من مشعلي الفتنة الطائفية الادعاء بذلك، والمعنى أن هناك قوى خارجية أقوى من الأنظمة المستقوية على جماهيرها المشحونة بالمقاومة، وهذه المعادلة سبب تأخر الاصلاح السياسي الذي حرمت منه المنطقة العربية حماية للكيان الصهيوني من اطلاق الحريات واندفاع الشعوب سياسيا وجهاديا في وجهه، بدليل أن نجاح المقاومة اللبنانية في إلحاق الهزيمة به قد دفع أمريكا إلى طي أوراقها الداعية للاصلاح والتركيز في ملف حربها على الارهاب المزعوم رغم فشلها في مشوارها معه.

وأرجع الباحث السياسي خليل العناني الموقف السعودي من حزب الله خلال الحرب الأخيرة إلى حسابات سياسية بين الحزب وإيران، التي تتسم علاقاتها بالرياض بالحساسية منذ قيام الثورة الاسلامية عام 1979، ثم التحول الأخطر في العلاقة عقب تمكين السعودية للأمريكان من الخليج العربي 1991، ثم الانزعاج السعودي من هيمنة إيران على العراق عقب سقوط نظام صدام حسين، وتنامي علاقات طهران بدمشق، بجانب مصالح السعودية واستثماراتها في بيروت والبالغ قيمتها 2,4 مليار دولار، بجانب 14 مليار دولار هي حجم استثمارات رجال أعمال سعوديين بلبنان والتي دمرت بنيتها تماما، لتخرج المعونات المادية الرسمية والشعبية السعودية مداراة للموقف السياسي الملكي السلبي من حزب الله، خاصة مع تحقيقه النصر العسكري، لينتهي تسكين الموقف السعودي في إطار الموقف العربي الرسمي الأقل في رد فعله من الرد على غزو العراق، إلى محاولات ملكية لفتح قنوات حوار مع حركة أمل وحزب الله لاخراج مبادرة تنهي الأزمة اللبنانية التي تقف المحكمة الدولية حجر عثرة أمامها.

فيما رأت الدكتورة حنان قنديل الموقف المصري متسقا مع عدة معطيات أهمها عدم تقبل المنطقة فرض رأي معين عليها كما كان في الماضي، ومن ثم طرح النظام المصري الحل بأيدي الفرقاء الأساسيين مع ضرورة لعب الأطراف الدولية دورا جديدا، دون قراءة وجهة النظر المصرية واقع الساحة الدولية بشكل جيد، حيث لم يحرك المجتمع العالمي ساكنا.

وأكد الدكتور محمد السعيد إدريس الخبير بالشؤون الإيرانية الدعم الأساسي لحزب الله من قبل طهران ودمشق، مستبعدا أن تكون عملية حزب الله بأسر الجنديين وإطلاق شرارة الحرب قد تمت بإيعاز من إيران، بل بهدف تخفيف الضغط المتواصل عن الشعب الفلسطيني الذي أهملته الأنظمة العربية، حتى أن الموقف بعد الحرب لم يكن أسوأ إلا للأمريكان بعد وضع واشنطن دستورا طائفيا ذا صبغة سياسية وليست اجتماعية في العراق لتدفع ثمن الصراع بين السنة والشيعة والأكراد.

ونبه الدكتور رضوان زيادة إلى مأزق حزب الله في إيران زاعما تمثله في هجرة الوعي الشيعي وتحول التشيع إلى النمط السياسي متمثلا في موقفه الأخير المطالب بحكومة وحدة وطنية دون معنى لذلك في ظل وجود وزراء له بالحكومة الحالية، بما يتنافى مع دوره البطولي في الصراع مع إسرائيل.

ولفت أمين إسكندر الباحث والكاتب السياسي إلى خطورة النظر لمقاومة حزب الله على أنها مغامرة غير محسوبة نتجت عن إخفاء السيد نصر الله قرار خوض الحرب عن حكومة السنيورة، مؤكدا أن الصراع المشابه لما يجري بلبنان الآن يحدث في فلسطين نتيجة الإلتباس بين حركات التحرر وإدارة الدولة.

جانب من الندوة (القدس العربي)

موجة فزع بعد ظهور ميليشيا للاخوان داخل جامعة الأزهر.. ومعركة بين «روزاليوسف» وشيخ الأزهر.. وهجوم ضد الحكومة بسبب غلاء المعيشة

هجمات ضد مبارك في «الكرامة» و«صوت الأمة».. ومعركة حامية بين عمال شركة غزل المحلة والدولة.. واتهام الوزراء بمجاملة طوب الارض

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من حسنين كروم:

كانت الأخبار والموضوعات الرئيسية في الصحف المصرية الصادرة أمس الثلاثاء عن جريمة قتل الأطفال الثلاثة للعقيد بهاء بعلوشة في غزة، وعودة الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى الى لبنان لاستئناف وساطته، وكلمة رئيس الوزراء الدكتور أحمد نظيف في ملتقى القاهرة للاستثمار وكلمة جمال مبارك التي ركزت عليها الصحف الحكومية، وكذلك حضوره دورة أساتذة الجامعات بأمانة الشباب والتدريب والتثقيف بالحزب الوطني الحاكم وتأكيده أن مشروع الجامعات الجديد الذي يقدمه وزير التعليم العالي سيتم مناقشته من جميع جوانبه بواسطة اساتذة الجامعات، وحضور السيدة سوزان مبارك حفل اللجنة التنفيذية لمبادرة التعليم ومشروعها ليكون لكل طالب بريد الكتروني، وطلب الرئيس مبارك اعداد فيلم سينمائي ضخم عن حرب أكتوبر 73 وانتصارات قواتنا فيها، وحملات لوقف الفوضى في المرور واستمرار التحقيقات مع عصابة رمضان التوربيني. والى جزء مما لدينا اليوم:

مصر الآن

ونبدأ بمصر الآن، وكيف تقدمت، وارتفعت فيها مستويات المعيشة، ويسودها التسامح مع مسؤوليها ووزرائها، ومنهم وزير الاسكان السابق محمد ابراهيم سليمان الذي قال عنه زميلنا وصديقنا عادل حمودة رئيس تحرير «الفجر» متفاخرا بتسامح نظامنا وانسانيته ورقته مع أبنائه حتى لو أخطأوا:

«طوال ثلاث سنوات سبقت خروج محمد ابراهيم سليمان من الوزارة، كان يستقبل زواره ويودعهم بجملة واحدة بدا واثقا من قدرته على تنفيذها: سأحبس عادل حمودة، وعندما كان الرجل يرى شكا في عيون ضيوفه فيما يتوعدني به كان يقسم بأغلظ الايمان أن حبسي أمر مفروغ منه، حقيقة صلبة، محكمة لا تخر منها المياه، وأعترف أنني بيني وبين نفسي كنت أشعر بالقلق، أحيانا، ليس بسبب ضعف موقفي القانوني، ولكن لسبب آخر مختلف تماما، أن الوزير يجامل طوب الأرض «مستخدما ما تحت يديه من موارد هائلة لا تقل سحرا في تأثيرها عن خاتم سليمان ومصباح علاء الدين، وهما معجزتان تحيلان الفقير المعدم الى سلطان زمانه»، لكن، ما كان يطمئنني أن المحققين الذين كانوا يتولون البلاغات التي قدمها الوزير ضدي في مكتب النائب العام كانوا رجالا بمعنى الكلمة، يؤدون عملهم باحترام واحتراف جعل أحدهم يقول بعد أن انتهت القضايا: «لو كان الأمر بيدي لوضعت الوزير مكانك على كرسي التحقيق، لكنها معجزة سياسية لا أقدر عليها، وان كنا سنصل اليها مهما طال الزمن، فلا يصح في النهاية الا الصحيح».

كانت الآية مقلوبة، الصحافي الذي يكشف الفساد هو الذي يقف أمام جهات التحقيق الصارمة، والوزير الذي يعبث كما يشاء في موارد وثروات الأمة هو الذي يهدد بحبسه ويصر عليه ولا يكف عن تقديم البلاغات المتتالية ضده، بل أكثر من ذلك عندما يترك الوزير منصبه يتقلد وساما رفيعا من رئيس الدولة بدا وكأنه يحصنه ضد الحساب والعقاب ويغلق ملفاته الى يوم الدين، وموقف النظام من تجاوزات ابراهيم سليمان لم يتغير، فلا يزال حسب معلوماتي يشرف هندسيا على بعض القصور الرئاسية، كما أنه كوفئ بحصة من الغاز الطبيعي هو وشريكه يحيى الكومي تستخدم في مصنع للميثونيل يبنيانه معا، ويحيى الكومي هو رجل الأعمال الذي اشترى الفيلا التي بناها في منطقة العروبة بحي مصر الجديدة على أنقاض فيلا رئيس وزراء مصر الأسبق محمود فهمي النقراشي.

لكن، في اليوم نفسه فجر النائب المستقل عن الدرب الأحمر علاء عبدالمنعم مخالفات ابراهيم سليمان في قطاع تعاونيات البناء وقدم تقريرا رسميا يثبتها، وهو ما جعل الدكتور زكريا عزمي يقترح تحويلها الى النيابة العامة للتحقيق فيها، ووافق مجلس الشعب على ذلك، وهي خطوة أولى، لكنها وحدها لا تكفي، فنحن نترك الجمل ونمسك بالفأر، نترك الديناصور ونمسك بظله، وهو ما يعني أن التحقيق في المخالفات البسيطة قد ينتهي الى براءة ابراهيم سليمان فنصور للرأي العام هذه البراءة وكأنها براءة كاملة من كل ما أحيط به وأثير حوله، لو كنا جادين في التحقيق مع الوزير السابق وحسابه بضمير فالأمر غاية في السهولة، افتحوا الغرف المظلمة في الرقابة الادارية التي تتكدس بملفاته الضخمة، واذا كانت المفاتيح قد أصابها الصدأ فارجعوا الى الاستجوابين اللذين قدمهما من قبل كمال أحمد والبدري فرغلي اللذان دفنا في مجلس الشعب قبل أن يناقشهما أحد، واذا كان الاستجوابان قد فقدا صلاحيتهما بالتقادم فان مذكرة النيابة العامة في القضية التي أثهمت أنا ومنال لاشين ومحمد الباز وانتهت بالحفظ مازالت صامدة وموجودة، ونملك نسخة منها، واضح من المذكرة أن كل اتهام وجهناه للوزير كان صحيحا، وكل كلمة قيلت ضده لم تتجاوز الحقيقة، وهو ما يعني أن ينقلب السحر على الساحر، ويتحول الوزير السابق الى متهم، وتتولى النيابة العامة التحقيق معه، فهي بنفسها التي أكدت صدق كل ما نسب اليه، فاما نحن الذين نستحق المحاكمة واما هو، ونحن براءة، فالدور عليه، وهذا ليس حقنا، وانما حق المجتمع الذي تمثله النيابة وتدافع عن مصالحه».

العمال والنظام

والى اضراب عمال شركة غزل المحلة الكبرى وعددهم 27 ألفا وانتهى باجبار النظام والحكومة على تلبية مطالبهم، مما دفع زميلنا وصديقنا ورئيس تحرير جريدة «الكرامة» وعضو مجلس الشعب حمدين صباحي، لأن يكتب وهو في غاية النشوة والفرح:

«اعتصام عمال المحلة الكبرى هو بشارة نصر لمصر، ـ مطلب العمال بسيط جدا لكن معنى اعتصامهم عظيم جدا، لا يطلب عمال المحلة الا جزءا من حقهم الضائع، وهو أن يتقاضوا نصيبهم من الأرباح التي دفعوا فيها عرقهم وكدحهم حسب قرار رئيس الوزراء 467 لسنة 2006 والذي تم نشره في الوقائع المصرية 24 اذار (مارس) الماضي ويقضي بزيادة نصيب العامل في الأرباح الى راتب شهرين من أجره الأساسي بدلا من مئة جنيه كحد أقصى وهو ما كان مطبقا منذ 1984.

هل توجد مشكلة في أن يأخذ عمال المحلة هذا الحق البسيط تطبيقا لهذا القرار الواضح؟! في ظل حكومة الحزب الوطني توجد مشكلة طبعا، فهي حكومة تجود بالمليارات على أساطين الفساد ونهب أموال الدولة وبيع القطاع العام برخص التراب لكنها تضن بالملاليم على العمال الشرفاء المنتجين الكادحين.

البشارة التي أضاؤها في ليل الوطن أهم وأعظم وأكبر من مجرد نصيب في أرباح الشركة، انها بشارة تحرك الطبقة العاملة المصرية لتدافع عن حقوقها في مواجهة هذه السلطة ولتأخذ نصيبها في الثروة والسلطة في هذا الوطن، هي البشارة لأن التغيير في مصر لن يتم بالمثقفين والنخبة السياسية وأصحاب الرأي وانما بالفلاحين والعمال والطلاب والحرفيين والمهنيين بقوى اجتماعية تدافع عن حقها في الحياة ونصيبها العادل من ثروة الوطن وقرار الوطن. انها البشارة لاستيقاظ مارد الشعب العملاق الذي ظن البعض أنه استسلم للنوم والذين يفرضون ارادتهم اليوم من داخل عنابر شركة المحلة سيخرجون غدا الى شوارع القاهرة وميدان التحرير ويفرضون التغيير، أحرار المحلة الكبرى ليسوا أقل من أحرار بيروت العظيمة.

لو كان في مجتمعنا عافية كافية لتفجرت الثورة وأسقطت الحكومة غضبا وانتقاما للأطفال الأبرياء الذين لاقوا هذا المصير البائس الوحشي على يد عصابة الانتهاك والاغتصاب والقتل، هل هي جريمة «التوربيني» وحده؟ أم جريمة حكومة مجرمة ومجتمع متخاذل؟، انها ليست جريمة أفراد بل جريمة نظام وجريمة مجتمع وكلنا يستحق العقاب لأن أرواح الأطفال القتلى الأبرياء لن تغفر لنا.

هل تستطيع مصر، الدولة والمجتمع أن تحمي شرف وكرامة وحياة أطفالها؟ أم وصل بنا الانحطاط أن نتغزل على كل هذا الاغتصاب والقتل بدم بارد وضمير ميت؟».

ونفس الموضوع قالت عنه في نفس العدد زميلتنا زينب حسن في عمودها ـ كلمات ـ:

«طالعتني مشاهد عمال شركة «غزل المحلة» الذين خرجوا بالآلاف، مطالبين بحقهم في صرف أرباح الشركة والمطالبة باقصاء رئيسها الذي عاث فيها فسادا وراح ينكل بالعمال، مستخدما نفوذه وسلطته في نقل وفصل كل من يرفع منهم صوتا يندد بادارته الفاشية، فبينما عمال المحلة معتصمون ومضربون، جلسنا جميعا بالمكاتب نتابع الموقف عن بعد وانشغلنا عنه بوضع آليات تأسيس اتحاد العمال الحر، انها ملهاة المأساة وأتساءل كيف نغيب عن هذه الانتفاضة التي لا يمكن أن تختصرها الأقلام في أنها مطالب فئوية.

والواقع، أنني لا يمكن أن أعتبر سلوك النقابة مجرد تخاذل أو حتى مجرد تقصير، ولكنني أراه خيانة كاملة الأركان والعناصر والموصفات، للمهنة التي يفترض أن النقابة تدافع عنها وعمن يمارسونها، هذه خيانة لا شك وبلا مبالغة، ومن يرتكبها ينبغي أن يحاكم معنويا، ولا أقول ماديا، بتهمة العمل ضد مصلحة المهنة، وان كان ذلك بالصمت.

ولنفترض أن لدى النقيب خلافا في الرأي مع عدد من الأقلام في «روزاليوسف»، ولنفترض أن مجلس النقابة لديه تحفظات على ما يكتب رئيس تحرير «روزاليوسف» ضد النقابة، لنفترض ذلك، وخاصة أننا نعرفه ولكن ما هي علاقة ذلك بالمبدأ.

ان عارف، ومن معه يمكن أن يجد وقتا لكي يدير ندوة، لا دور له فيها لخالد مشعل زعيم حماس، لكنه لا يجد وقتا لكي يعقد اجتماعا يصدر في نهايته بيانا يرفض فيه تكفير مؤسسة صحافية، على الأقل على سبيل مخاطبة أصوات الصحافيين الذين يعملون في هذه المؤسسة».

الرئيس مبارك

والى رئيسنا، بارك الله فيه ورعاه، وسدد على الطريق خطاه وحماه من شر الحاسدين والنفاثين في العقد ومحترفي الأعمال السفلية والعكوسات وأظن أن لم تخني الذاكرة أن من أكثرهم خطورة رئيس تحرير مشارك، اسمه عبدالحليم قنديل قال قولا منكرا في جريدة قال لي البعض ان اسمها «الكرامة»، لكني فضلت تجاهله، طبعا، وكيف لا أتجاهله وهو يقول عن رئيسنا: «نعم بمقدور مصر الآن ان تخلع الرئيس مبارك وحكمه غير الشرعي بضربة عصيان مدني، ليس هذا خيالا ولا حلم يقظة بل هو الممكن والممكن جدا، وربما لا يوجد خيار آخر سلمي للتغيير اللهم الا اذا شاءت الأقدار وعجلت بما تحب الأنفس وهو ما يرد في علم الله ويتأبى عن علم الناس، ربما كان التغيير السلمي واردا ـ ولو نظريا ـ بانتخابات حرة، وتلك هي العنقاء والخل الوفي، هذا ـ بالذات ـ هو غير الممكن وباطلاق مادامت عائلة مبارك تحكم من قصر الرئاسة، ان فالعصيان المدني السلمي ليس اختيارا بين بدائل، انه الاختيار الوحيد للمصريين ان أرادوا أن يكونوا بشرا كالبشر لا أن يظلوا بشرا كالحجر، وعجينة مدهوسة تحت أقدام القهر، وقد أفهم أن تستبد بنا مشاعر الاحباط أحيانا، لكن لا يصح أن يدركنا اليأس من روح الله ومن روح الشعب، فمصر لا تحتاج على معجزة لكي تعصي الوالي الظالم، مصر تحتاج ـ فقط ـ أن تستعيد نفسها وأن تدرك هوان شأنها بين الأمم، وما صحوة عمال المحلة ببعيدة، ففي الوقت الذي يأكلنا فيه غيظنا من العجز تفجرت انتفاضة عمال المحلة ووجدنا العمال بعشرات الآلاف يكسرون عصا الطاعة العمياء ويعتصمون ويتظاهرون دفاعا عن حقهم في الحياة وتستمر الانتفاضة أياما طويلة عاصفة رغم وطأة الخوف الموروث أجيالا عددا ويلتحم الجزئي بالكلي في سلاسة تلقائية مدهشة، ويصبح النعش الرمزي لرئيس مجلس ادارة شركة المحلة هو ذاته النعش الرمزي لرئيس مجلس ادارة مصر كلها فهم ـ بالرمز ـ لا يريدون فقط اقالة رئيس مجلس ادارة شركة هو عبد المأمور، بل الرمز ممتد باحالاته الى اقالة المأمور نفسه انها الصدوع الاجتماعية العميقة التي تفتتح عصرا جديدا للسياسة في مصر، فقبل عامين كانت حركة «كفاية» تخترق حاجز الخوف بمظاهرات المئات وزادت المظاهرات السياسية الى الآلاف مع تمرد القضاة وكانت تلك كلها أشبه بدقات طبل بالاحتجاج على أبواب الآتي الذي يدهمنا الآن، انه مدد الشعب الذي يفيض في مواسم النيل فانتفاضة عمال المحلة لن تكون الأخيرة انها سورة الفاتحة في قرآن الغضب المصري ولا تصدقوا الرجال الذين ملأتهم الشروخ فمصر ستحطم الآن على أقدارهم وتثبت أنها قادرة على العصيان».

لا حول ولا قوة الا بالله ما هذه الألفاظ والكلمات؟ العنقاء والخل؟ وأين الزيت والسمن؟!، أضغاث أحلام.

ولم تكتف هذه الجريدة بذلك، وانما واصلت التعامل مع من أصبح يسبب لي حساسية شديدة لأنه يدفعني للاكتئاب والبكاء من خفة ظله، وهو سليمان الحكيم لقوله السخيف، في بابه الأسخف ـ طق حنك ـ:

«× التليفزيون الفرنسي يصور فيلما عن انجازات مبارك.

ـ الفيلم بعنوان ـ التوربيني ـ بطولة أطفال الشوارع.

× مهرجان بشرم الشيخ بعنوان: المشي من أجل السلام، تحت رعاية سوزان مبارك.

ـ ياريتهم يمشوا من أجل السلام».

أعوذ بالله من غضب الله ـ وأخشى أن يكون الله غاضبا عليّ باجباري على قراءة مثل هذه السخافات، وتلك التي تفوه بها محمد الرفاعي في بابه ـ يوميات مواطن مفروس ـ في جريدة قالوا لي ان اسمها «صوت الأمة»: «في تاريخ مصر المنكوبة المنهوبة المسلوبة المتحرش بها، لحد ما عيالها بقوا يناموا في الشوارع واشارات المرور، ثلاثة ملوك يحملون اسم محمد، وهم أشهر ثلاثة محمدات جلسوا على العرش وقد أكد مولانا الحاج المقريزي، أن الثلاثة لا مؤاخذة يعني ليسوا من عائلة واحدة توارثت الحكم ـ يعني كل واحد فيهم لم يكن يفكر اطلاقا في أن يترك مهنته الأصلية ويجلس على كرسي العرش ولذلك، تعلموا الحكم بالممارسة في جثة الأهالي زي العيال بتوع كلية الطب اللي يتعلموا في الجثث كده، ويحكي ابن أياس بعد أن انسطل من الحشيش أنه لما كان الثلاثة من العسكر الانكشارية الذين يحبون رائحة التقلية ويفطرون فتة وملوخية فقد كان ولاؤهم للعسكر والأنطاع والخصيان.

صاحب الجلالة محمد الأول حمل لقب المنحوس والذي صار يلازمه حتى وفاته، فقد كان أكثرهم نحسا وكأن الغراب واقف على كتفه فلم يجلس على العرش الا لفترة ضئيلة حتى انقلب عليه العسس وشلحوه وبهدلوه آخر بهدلة، ولا بهدلة المعيز في السلخانة، وصاحب الجلالة الملك محمد الثاني حمل لقب محمد الفاتح والبندقداري، حيث فتح الأبواب لكل الحرامية واللصوص والهجامين وفي نفس الوقت فتح السجون لكل الأنطاع المعارضين، أما البندقداري، فقد جاءت من عشقه الشديد لارتداء بدل العسكر في المناسبات والأفراح وحفلات الطهور والزواج ولم يشاهد الا مرات قليلة وهو يرتدي العباءة، ويمسك في يده فرع شجرة ويجلس مع الأتباع وهو يأكل الفطير، في منتجعه الريفي، وقد أقام صاحب الجلالة محمد الفاتح البندقداري مفرمخانة كبيرة لفرم العيال التي كانت تمشي في الشوارع وهي تغني علي بابا بعد الضنا لابس حرير في حرير، والست مرجانة، طول يومها نشوانة، مما اعتبره تلسينا عليه، وخروجا على أخلاق القرية التي تحتم أن يقف المواطنون حفاة على رأس الترعة، ليقبلوا يد حضرة الحاج العمدة، حتى شاء السميع العليم أن يطحه العسكر بتوعه، وسقط وهو يصرخ نشتت يافالح يا ابن الفالح.

أما صاحب الجلالة الملك محمد الثالث، فقد لقب بمحمد القافل الطياري حيث قفل على العباد أقواتهم وأصبحوا أفقر من الفقر نفسه وصار العامة يأكلون بعضهم بعد أن أكلوا القطط والكلاب والحمير وانتشرت في عهده المجاعات، وعصابات قطاع الطرق من الأوباش، بتوع، يامحمد ياحبيبنا أوعى تمشي وتسيبنا، وياحاسدين الناس، مالكم ومال الناس، وقام صاحب الجلالة بانشاء ما يسمى بالخازوق خانة حيث يتم خوزقة الأنطاع والدهماء والعبيد، أما المحاسيب والألاضيش، فقد فتح لهم كرش الوطن، وأقام لهم دار ضيافة تسمى الوطن وينهبون كمان، ورفع شعار، اللي عاوزني يجيني أنا ما برحش لحد، وبعد أن كانت العامة تقول من باب الغلبة بصلة المحب خروف، أصبحت تصرخ، خروف المحب بصلة.

وقرر مولانا اغلاق الوطن بالضبة والمفتاح بعد ما فلس وباع هدومه، وبقى ماشي عريان لحد ما ربنا يفرجها ويشوف وطن تاني يليق بحكمته وقيادته، مع أنه بيسوق من غير رخصة».

ميليشيات الاخوان

وأخيرا، الى الموضوع الذي برز فجأة بظهور مجموعة من طلاب جامعة الأزهر، قيل انهم من الاخوان المسلمين، ارتدوا ملابس شبه عسكرية، وغطوا وجوههم بأقنعة، ولفوا رؤوسهم بقطع قماش مكتوب عليها ـ صامدون ـ وأخذوا يقومون بحركات كاراتيه مما يؤكد تدريبهم عليها، مما أثار تساؤلات عديدة، ومخاوف كثيرة، فمثلا قال امس زميلنا محمد علي ابراهيم رئيس تحرير «الجمهورية»: «لم أندهش كثيرا لما فعله الاخوان في جامعة الأزهر من استعراض للمهارات القتالية وارتداء الملابس السوداء تشبها بحماس والجهاد. ففي الصيف الماضي أعلن الشيخ مهدي عاكف المرشد العام للاخوان المسلمين أنه مستعد لارسال 10 آلاف مقاتل للحرب ضد اسرائيل في لبنان وفلسطين، وقال ان هؤلاء المقاتلين مجهزون أفضل تجهيز، ومدربون على القتال تدريبا عالياً.

وقتها كتبت منتقدا تصريحات الشيخ، وقلت انه من المستحيل أن يكون هناك هذا العدد الكبير من المقاتلين داخل الجماعة المحظورة!

لقد جرى ما جرى في ساحة جامعة الأزهر، وبدا أن الطلاب قد تم «غسيل مخهم» من قبل الجماعة المحظورة فقد أقنعوهم بارتداء الثياب السوداء اقتداء بحماس والجهاد والتنكر بالأقنعة السوداء على وجوههم، حتى لا يعرفهم رجال الأمن.

الأدهى من ذلك أنهم ارتدوا رباط رأس مكتوبا عليه «صامدون» ولا أدري في وجه من يصمدون، هل في وجه النظام أم في مواجهة قوات الأمن، واذا كانوا صامدون في وجه النظام أم في مواجهة قوات الأمن؟ واذا كانوا صامدين في وجه الاحتلال الاسرائيلي الغاشم للأرض المحتلة، فما هي مناسبة هذا الاستعراض، خصوصا وأن حماس والجهاد ملتزمتان بوقف اطلاق النار الآن، وهو التزام نأمل أن يدوم حتى نستطيع الوصول الى مائدة الحوار بين الفلسطينيين وال